القيم الحضاريّة في قصة سيدنا سليمان ﵇ مع ملكة سبأ

زكريا علي محمود الخضر *

تاريخ وصول البحث: ٣/٨/٢٠٠٨م   **تاريخ قبول البحث:** ٦/١١/٢٠٠٨م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان القيم الحضارية التي تضمنتها قصة سيدنا سليمان ﵇ مع ملكة سبأ من خلال سورة النمل.

ومن خلال النظر في القصة القرآنية يظهر تعبير القرآن عن هذه القيم.

وقد استنتج الباحث الملامح والقيم الحضارية الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية، وعمل على تحليلها وترتيبها وفق آيات السورة القرآنية.

Abstract

This research aims at exploring the values of civilization in wich the story of prophet Solomon (peace be upon him) with queen of saba includes through AL-Naml Surah.

By the style of this story the expression of the Qur'an about these values are appeared.

Also the researcher deduced the aspects and the religions, social, political, and scientific values of civilization, and he made an analysis and arranged it as the arrangement of the surah

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن القرآن الكريم عالج كثيراً من قضايا الأمة، سواءٌ بالتوجيه العام، أو بالأسلوب القصصي الحكيم، وتعد قصة سيدنا سليمان -عليه الصلاة والسلام- في سورة النمل من القصص القرآنية التي أصّلت للقيم الحضارية والسبل الاجتماعية في التعامل مع الأمور والأحداث، فإذا تجاوزنا ما في القصة من أسلوب ماتع يقنع العقول، ويأخذ بتلابيب القلوب ، فإنها مليئةٌ بما يمكن أن يفيد منه الأفراد والأمم على السواء في حياتهم العملية وشؤونهم المسلكيّة؛ لما فيها من مبادئ تعلو بالنفس وتسمو بالوجدان، وتقوِّم الرأي في مواجهة القضايا الملحة على الصعيدين النفسي والاجتماعي، وفي حيز العلاقات الخارجية، مما ينير الطريق أمام المسلمين للتعامل مع الآخر.

ومن يدقق في هذه القصة الكريمة، يجد اللفتات الاجتماعية والعلميّة والسلوكية، ومواطن الإرشاد إلى تحقيق السبيل القويم في التعامل مع الوسائل الحضارية، وتقويم الخطأ، واستخدام المعايير الحضارية القويمة ومقاييسها، ومعالجة العمران بالكيفية التي تهدف إلى إبراز فضل الله –تعالى- في عمارة الكون، وتسخير طاقاته وتوظيفها في خدمة البشرية، وبيان علو قيمة الفضيلة، وتفوقها على مقاييس العلم المادي التجريبي المجرّد عن الفضائل.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمّة وستة مباحث، جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: **فضيلة العلم والإعلام به، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول : فضيلة العلم وشرفه على غيره.

المطلب الثاني: إبراز العلم والإعلام به لتعم فائدته.

المبحث الثاني: **إدارة الملك وحسن التصرّف في سياساته، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول : التقسيم الوظيفي والتوزيع الإداري.

المطلب الثاني: المستشار مؤتمن.

المطلب الثالث: بيان أن غاية الملك والقيادة الصلاح

---

* أستاذ مساعد، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك.

والإصلاح، وأن ضبط المصالح، والتفقد الدائم لشؤون الرعيّة من مهام المُلك، وفيه فرعان:

الفرع الأول: بيان أن غاية الملك والقيادة الصلاح والإصلاح.

الفرع الثاني: ضبط المصالح، والتفقد الدائم لشؤون الرعيّة.

المبحث الثالث: أخلاقيات الحوار وأدبياته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : حسن التخلّص من تبعات الموقف.

المطلب الثاني : أصول الإعلام وحسن إلقاء الخبر.

المطلب الثالث: مراجعة وسيلة الإعلام، والتدقيق في مضمونها.

المبحث الرابع: نظام المراسلات والمخاطبات وأدبها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: احترام المخاطبات وسريتها، وبيان قيم الخطاب السياسي في مجلس الحكم، وفيه فرعان:

الفرع الأول : احترام المخاطبات وسريتها.

الفرع الثاني: بيان قيم الخطاب السياسي في مجلس الحكم.

المطلب الثاني: حسن القيادة الإدارية والسياسية، وحصافة التقدير في الرأي.

المبحث الخامس: قيمة الثبات على المبدأ والاتزان في الموقف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أسلوب المقايسات والتفاضل بين الأشياء.

المطلب الثاني: الإعداد الصحيح للقوة.

المبحث السادس: القوة العلمية وبناء العمران، والملامح الحضارية فيهما، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قيمة تحرير الطاقات، وتحفيز الإبداع، وكشف منازعه، واختبار الكفاءات، واختيار الأنسب والأكثر كفاءة وأمانة ودقة.

الفرع الأول: قيمة تحرير الطاقات، وتحفيز الإبداع، وكشف منازعه.

الفرع الثاني: اختبار الكفاءات، واختيار الأنسب والأكثر كفاءة وأمانة ودقة.

المطلب الثاني : ربط النتائج العلميّة بأسبابها.

المطلب الثالث : السبق في العلوم من خواص أهل الإيمان.

المطلب الرابع: بيان أن الكفر إفسادٌ للعمران، وأن العمران والبناء من أجل الإصلاح والصلاح، وفيه فرعان:

الفرع الأول : بيان أن الكفر إفسادٌ للعمران.

الفرع الثاني: العمران والبناء من أجل الإصلاح والصلاح.

ثم ختم البحث بخاتمة ظهر فيها أبرز نتائج الدراسة.

وبعد، فإني أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، فإن أصابني التوفيق فبفضل من الله –تعالى- ونعمه، وإن لم يصبني التوفيق في بعض ما قدمت فأسأل الله –تعالى- المغفرة والعفو، إنه ولي كل توفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
فضيلة العلم والإعلام به

المطلب الأول: فضيلة العلم وشرفه على غيره:

تبدأ قصة سيدنا سليمان -عليه الصلاة والسلام- في سورة النمل ببيان فضل النبيَين داود وسليمان -عليهما الصلاة والسلام-: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ١٥]، إشعاراً بأن فضيلة العلم خصيصةٌ بارزة حَريّةٌ أن يُحتفى بها؛ لأنها الأساس والأصل لما بعدها، والقرآن هنا يعطي لخصيصة العلم وقيمته بُعداً معنوياً؛ ذلك أن لفظ الإيتاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾[النمل: ١٥] أبلغ من الإعطاء، قال السيوطي: (الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأن الإعطاء له مطاوع، تقول: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأتيت، وإنما يقال: آتاني فأخذت، فالإيتاء أبلغ من الإعطاء)(١).

وقد ذهب السمين الحلبي إلى أن الإيتاء (يقال في من كان معه قبول)(٢)، وهذا ما نلحظه في تفسير ابن عاشور، حيث ذهب إلى أن الإيتاء (مشعرٌ بأن المعطى

مرغوب فيه، وهو مستعمل في لازمه وهو النَول)(٣)، والإيتاء كذلك (لا يكون إلا للشيء الكثير، والعظيم الشأن)(٤)، وهو العلم هنا، ومعنى هذا أن العلم قيمةٌ معنويةٌ في ذاتها، رفيعة الشأن، وقد ترى ذلك في مواطن كثيرة في القرآن المجيد، من نحو قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١١: المجادلة] وغيرها من الآيات.

ومما يدل على عظم هذا الفضل: أن كلمة (علماً) نكرة في سياق الامتنان(٥)، وهي دالة على العموم في هذه النعمة، وأن شمولها لداود وسليمان -عليهما الصلاة والسلام- رفع لمكانتهما.

قال السبكي في تفسير هذه الآية: (الوجه الثاني -من أوجه الكلام على الآية المذكورة-: تعظيم مرتبة العلم وشرفه، فإن الله -تعالى- آتى داود وسليمان -عليهما السلام- من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك في صدر هذه الآية إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها، فقد كان داود من أعبد البشر كما صحّ في صحيح مسلم(٦)، وذلك من آثار علمه، وجمع الله له ولابنه سليمان ما لم يجمعه لأحد؛ وجعل العلم أصلاً لذلك كله، وأشارا هما أيضاً إلى هذا المعنى بقولهما: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥: النمل] عقيب قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾[١٥: النمل]، وما يفهم من ذلك إلا أنهما شكرا ما آتاهما إياه، وأن سبب التفضيل هو العلم)(٧).

وما ذهب إليه بعض المفسرين من إفادة النكرة التبعيض، حيث يرون أن معنى ﴿عِلْمًا﴾: (طائفة من العلم)(٨)، لعلهم أرادوا ما يختص بالنبوة، والأمر كما يظهر على العموم والشمول؛ لكونه أوفق بسياق الامتنان وإظهار عظيم الفضل.

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥: النمل].

وفي هذه الآية للمتأمل وقفتان:

الأولى: تصرّف العالم وموقفه.

الثانية: جعل العلم ميزة وموطن اختيار.

أما الأولى، فما نراه من داود وسليمان -عليهما الصلاة والسلام-، حيث ردا الفضل إلى واهبه ﷻ، فقالا: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥: النمل]، وأنت تلحظ أن الاسم الموصول يشعر بالتعليل؛ على معنى أن الحمد لله -تعالى- لتفضّله علينا، فله الحمد الموصول، وهذا مثال للعالم الرّباني الذي أصابته عناية الله -تعالى- ورعايته، فأراد استدامة هذه الفضيلة العظيمة عليه بواسطة الخضوع لله -سبحانه-.

وأما الوقفة الثانية: فالعلم أساسي في الاختيار، به فُضّلوا على من سواهم، فارتفعوا بالمعرفة، وارتقوا بالمدارك؛ إذ المعرفة والعلم أساس الرقيّ.

وعلى هذا، فإن هذه الآية الكريمة تعلمنا كيف نتعامل مع العلم الموهوب أو الكسبي، بالشكر وإرجاع الفضل إلى أهله، ومعرفة أن هذا ميدان تفاضل وتقدّم، يقوم في أساسه على الإيمان بالله -تعالى-.

المطلب الثاني: إبراز العلم والإعلام به، لتعم فائدته:

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[١٦: النمل].

يتحدث نبيّ الله سليمان عليه السلام وارث النبوة والعلم بعد والده النبي داوود عليه السلام عن نعمة أخرى متّصلة بالعلم، وهي: معرفة لغة ما لا يعقل، وطرائق الاتصال بالطير، وسبل محادثاته، وهذا شأن عجيب، وقد أعلم بذلك للدلالة على سعة ملكه، وبسط نفوذه ليعمّ ما يعقل وما لا يعقل، وأن الكل تحت سلطانه بتأييد الله -تعالى-.

ثم ربط هذا بالسبب المباشر: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[١٦: النمل]، أي يحتاج إليه المُلك، فهو ملك يستند إلى علم وأدوات وقوّة، قال ابن كثير: (أخبر سليمان عليه السلام بنعم الله -تعالى- فيما وهبه له من الملك التام،

والتمكين العظيم، حتى إنه سخّر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً، وهذا شيء لم يعطه أحد فيما علمناه مما أخبر الله -تعالى- به ورسوله ﷺ)(٩).

وقد ظهر لابن عاشور من هذه الآية قيمة علمية دقيقة، حيث قال: (يجوز للعالم أن يذكر مرتبته في العلم لفوائد شرعية، ترجع إلى أن يحذر الناس من الاغترار بمن ليست له أهلية من أهل الدعوى الكاذبة، والجعجعة الجالبة)(١٠).

ويلاحظ هنا أن سيدنا سليمان عليه السلام أخبر عن ما وهبه الله -تعالى- من القدرات العلميّة والذهنية ليعرفوا قوته، وحسن تدبيره ومقوّماته، وأن ملكه نافع يضم تحته ما يفيد، وقد ربط هذا العلم بالسبب غير المباشر، وهو إنعام الله -تعالى- عليه فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[١٦: النمل]، فيتضح من هذا أن المُلك له سببان:

أ. سبب غير مباشر، وهو إنعام الله -تعالى- وفضله.
ب. سبب مباشر، وهو العلم الذي يتمكن به من معرفة الأشياء والقيام بشؤونها.

وعلى هذا فملكه قائم على علم، وهذا أدعى إلى ديمومته واستمراره، حيث يحمل معه مقوّمات البقاء، والعلم هنا -على ما ترى- مقرون بالله -تعالى-؛ لأنه لخدمة الإنسان والكون، لا لخرابه وتدميره والعبث به على نحوٍ يسوق البشرية إلى الهلاك.

وهنا قيمة أخرى تظهر في هذه الآية، وهي أن هذا المُلك يفيد من الطاقات المودعة في الكون، ويستثمرها بواسطة العلم والمعارف؛ تحقيقاً لمصلحة الإنسان وعمارة الكون، وبذلك يكون هذا رُقيًا في استخدام العلم واستثماره، وتحكيمه في ميادين الحياة على الوجه الأصلح والنحو الأوفق مقروناً بالقيم الأخلاقية.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث، ونشوء النزعة العلمية، (فإن ثمة اعتقاد تمَ الترويج له كثيراً، هو أن العلم بمنزعه التجريبي يملك من القدرات ما يجعله الحل الوحيد لكل المشكلات، وقد ولَّدت هذه النزَّعة حالةً من التعاطي مع العلم الجاهز ومنتجاته، حتى باتت النخبة المتخصصة ترى أن الوسيلة الوحيدة للتقدم، هي بتداول أرقى النظريات والمناهج وأحدثها، دون أي تساؤل عمَا تنطوي عليه تلك النظريات والمناهج من أسس فلسفية.

يجب توضيح أنه إذا كان من غايات العلم الغربي السيطرة على الطبيعة، وتوفير الرفاهية المادية والمعيشية، وتحقيق السعادة وبسط النفوذ، فإن العلم في منظوره الإسلامي يستهدف أساساً عمارة الأرض، واستجلاء القدرات الإلهية، والحكمة العلوية في إدارة هذا الوجود)(١١).

المبحث الثاني

إدارة الملك وحسن التصرف في سياساته

المطلب الأول: التقسيم الوظيفي والتوزيع الإداري:

قال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٧: النمل].

تدلّ الآية الكريمة على أن ملك سيدنا سليمان عليه السلام قائم على نظام محكم، والنظم الكريم يساعد على تجلية ذلك أبين تجلية، فهنا حشد للقوى المادية والطاقات الفكريّة، فكلمة (جنوده) تعني من هم في إمرته، وأن من هم بين يديه يدينون لملكه بالولاء، قال ابن عاشور: (الجنود: جمع جند، وهو الطائفة التي لها عمل متَّحد تسخَر له، وغلَّب إطلاق الجند على طائفة من النَّاس يعدُّها الملك لقتال العدوَ، ولحراسة البلاد، وفي الآية إشارة إلى أن جمع الجنود وتدريبها من واجبات الملوك؛ ليكون الجنود متعهدين لأحوالهم وحاجاتهم؛ ليشعروا بما ينقصهم، ويتذكروا ما قد ينسونه عند تشوش الأذهان عند القتال، وعند النفير)(١٢).

وهذه هي قيمة الولاء والانتماء للمُلك، ويُظهر النظم من خلال الترتيب، (الجن والإنس والطير)، أن الأقدر والأقوى والأكثر تأثيراً: وهم الجن تقدموا في الذكر، ثم ذكر الإنس، وتلتهم الطير، فهذا ترتيب طبيعي منطقي يدل على عِظم ملك سيدنا سليمان عليه السلام وقوّته؛ إذ السياق جاء ليبين قوَّة الملك ومنعته.

قال أبو السعود: (وتقديم الجن على الإنس في البيان؛ للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه، وعزة سلطانه من أول الأمر؛ لما أن الجن طائفة عاتية، وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير)(١٣).

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل: ١٧]، هذا هو التقسيم الوظيفي، فكل له غايته، وكل له وظيفته وطبيعة عمله المنوط به، والموكل إليه، وكل حسب طبيعته وطاقاته، فما يحسنه بعض الخلق لا يحسنه بعضهم الآخر.

وهذا التقسيم مبناه على الاختصاص، وعلى الاستعدادات الفكريّة والطاقات الوهبيّة والمكتسبة، ولا شك أن هذا مؤشر على أن المُلك القويم يمتاز بحسن التقسيم، وتوخي الدقّة في إدارة السلطة، وهذا بلا ريب من حسن إدارة النظام، ومن عوامل نجاح الحكم، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اليوم بالمفهوم المعاصر: (التوزيع الإداري) أو (التقسيم الوظيفي).

المطلب الثاني: المستشار مؤتمن:

قال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**[النمل: ١٨-١٩].

في هذه الآية تجد التقسيم في العمل وتوزيع المهام، وإدارة الحركة عند مخلوقات لا تعقل؛ فالنمل له وظائف وأعمال متنوّعة، وترى كذلك حسن القيادة والإخلاص فيها؛ فهناك نمل منهمك في جلب الرّزق، وقائم على توفير الأمن الغذائي، لا يكسل أو يفتر، وهناك نمل قائم على البناء وعمران المساكن، لا يتقاعس في بنائه، وهناك نمل قائم على الأمن، ومراقبة المنطقة الجغرافية التي تخصّ إقليمها، واستكشاف المخاطر.

والقرآن يقدّم هنا صورة لإحدى الوظائف المنوطة بهذه المخلوقات البديعة، وهذا يقود إلى استنتاج قيمة حضارية نفيسة، قال تعالى: **﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[النمل: ١٨]، فهذه نملة مؤتمنة على أرواح النمل وأنفسها، وهي تعطي قيمة الأمانة والإخلاص لجنسها، فقد بادرت بالنداء لجميع فئات النمل، وأخلصت للجميع، وخلصت إلى الأهم في ندائها، وهو المقصود به: (الدخول إلى المساكن)، وهنا يلاحظ أن النمل له أكثر من مسكن، وهذا هو الاحتياط في الأمان، وبذلك تظهر القيمة المهمّة هنا، وهي: استراتيجية الأمان لمواجهة الخطر المفاجئ.

ومما يلفت النظر هنا: ما توحي به الآية الكريمة من قيم الإيثار، وتقديم مصلحة المجموع على الفرد؛ حيث إن النملة لم تعمد إلى الفرار، ولكنها نادت منذرة قومها، تأمرهم بدخول المساكن بلفظ الخطاب **﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾** **﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾**(١٤)، وليس معنى ذلك أن الأمر لا يعنيها، بل هذا يدل على أن حياة الجميع أهم من حياتها، ومساكنهم أهم من مسكنها، وهذه قيمة التضحية في العمل من أجل الآخرين؛ إذ تعلو مصلحة النمل وأمنه على مصلحتها الشخصية وأمنها الذاتي.

وفي حسن اعتذار النملة دلالة على صلاح ملك سيدنا سليمان ﵇، وأن الخراب والفساد لا يخرج من المُلك الصالح.

يقول الطبري في تسجيل اعتذار هذه النملة: (حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل **﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾**[النمل: ١٨]، يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطّمونكم)(١٥).

وقال بعض العلماء: (هذه الآية **﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ..﴾**[النمل: ١٨]، من عجائب القرآن؛ بلفظة **﴿يَا﴾** نادت، **﴿أَيُّهَا﴾** نبّهت، **﴿النَّمْلُ﴾** عيّنت، **﴿ادْخُلُوا﴾** أمرت، **﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾** نصّت، **﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾** حذّرت، **﴿سُلَيْمَانُ﴾** خصّت، **﴿وَجُنُودُهُ﴾** عمّت، **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** اعتذرت، فيا لها من نملة ذكيّة)(١٦).

المطلب الثالث: بيان أن غاية الملك والقيادة الصلاح والإصلاح، وأن ضبط المصالح والتفقد الدائم لشؤون الرعيّة من مهام الملك:

الفرع الأول: بيان أن غاية المُلك والقيادة الصلاح والإصلاح:

قال الله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١٩: النمل].

تعرض الآية الكريمة موقفاً عظيماً من نبي الله الملك سليمان عليه السلام؛ إذ إنه لما سمع منطق النملة وحسن اعتذارها أظهر ما يلي:

أولاً: التواضع؛ حيث تبسم تعجّباً من منطقها، فلم يأخذه الغرور بسلطته ومعرفته بهذا المنطق.

ثانياً: جعل ذلك وسيلة للتقرب إلى الله -تعالى- **﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**[١٩: النمل].

وهذا إخبار منه عليه السلام بأن غايته في ملكه الصلاح والإصلاح، وليس التسلّط أو إرعاب الآخرين، وهذا هو شأن القيادة الصالحة التي تستشعر مراقبة الله –تعالى- في أحوالها، وهذا جانب من العدل والإنصاف والإحسان في سياسة الرعيّة، وحفظ حقوقها واحترام مقدّراتها.

الفرع الثاني: ضبط المصالح والتفقد الدائم لشؤون الرعيّة:

قال الله تعالى: **﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾**[٢٠-٢١: النمل] تكشف هذه الآية الكريمة عن متابعة الحاكم لأمور دولته، ومعرفة انضباط الأفراد بوظائفهم وأعمالهم، وهذا ما قام به سيدنا سليمان عليه السلام بنفسه، وأشرف على سيره، فهو لا يترك مجالاً للتسيّب أو الخلل في الوظيفة والعمل الموكول إلى صاحبه؛ لينضبط من هو دونه، قال القرطبي: (**﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾**[٢٠: النمل]، دليل على تفقد أحوال رعيته، والمحافظة عليهم)(١٧).

وفي جانب ضبط المصالح وحزم الأمر وفتح باب الرقابة، عزم على أن يُجري العقاب الملائم الذي يتوافق مع حجم الانفلات، فقال بشأن الهدهد: **﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾**[٢١: النمل]، والسلطان المبين هنا باب من أبواب الاستثناءات، يدل على عدل هذا الحاكم؛ لأنه في النهاية ينظر إلى مصلحة المرؤوس، إذ لم يوجد الحاكم إلا للإصلاح.

المبحث الثالث

أخلاقيات الحوار وأدبياته

قال الله تعالى: **﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾**[٢٢: النمل].

في هذه الآية دلالة على ما وصل إليه نبي الله -سليمان عليه السلام- من كمال ضبط للأمور والمصالح؛ ذلك أن هذا الهدهد لم يمكث طويلاً في غيبته؛ استشعاراً منه بخطورة غيبته، وأنها لن تخلو من المساءلة والرقابة، كما أن هذه الآية تكشف عن قيمة الوقت، وأن السّفر والغدوّ والرواح لا بد أن يرتبط بهدف نافع.

قال السعدي: (دل هذا على كمال عزمه وحزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار)(١٨).

وقال أيضاً: (**﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾**[٢٢: النمل]، ثم جاء، وهذا يدل على هيبة جنوده منه، وشدة ائتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً)(١٩).

وعلى هذا لا بد من ضبط الوقت، وعدم استنزافه فيما لا طائل تحته، وقد احتوت هذه المحاورة اللطيفة من قبل الهدهد لسيدنا سليمان عليه السلام على جملة من القيم العظيمة، وهذه بعضها:

المطلب الأول: حسن التخلص من تبعات الموقف:

كما جاء في الآية الكريمة: **﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ**

به﴾[٢٢: النمل].

قال الزمخشري: (ألهم الله -تعالى- الهدهد فكافح سليمان ﵇ بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة؛ ابتلاءً له في علمه، وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به)(٢٠).

ويلاحظ هنا أدب الاعتذار في الخطاب مع حسن عرض في الكلام، وإجادة في التشويق؛ فالهدهد يريد أن يخبر سيدنا سليمان ﵇ بخبرٍ يدل على عمق فهم أتباعه ﵇ لحقيقة دعوته؛ حيث يحمل خبراً عن قوم يحتاجون إلى الدعوة إلى الله -تعالى- لهدايتهم.

قال ابن عاشور: (فيه استدعاء لإقباله على ما سيلقى إليه؛ لأهميَّة هذا المطلع في الكلام؛ فإن معرفة أحوال الممالك والأمم من أهم ما يعنى به ملوك الصلاح؛ ليكونوا على استعداد بما يفاجئهم من تلقائها، ولتكون من دواعي الازدياد من العمل النافع للمملكة، بالإقتداء بالنافع من أحوال غيرها، والانقباض عمَا في أحوال المملكة من الخلل بمشاهدة آثار مثله في غيرها)(٢١).

المطلب الثاني: أصول الإعلام وحسن إلقاء الخبر:

قال تعالى: **﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾**[٢٢: النمل].

هنا حدد الهدهد جهة الخبر، فأخبر عن المكان الذي يتعلق به الحدث الذي تم تصويره في منطقة سبأ، وأعلمه أن كلامه ليس افتراءً أو إشاعةً في الإعلام، فقال: **﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾**[٢٢: النمل].

فالنبأ: خبر مهم، وزيادة على أهميته هو غاية في الصدق، قال الراغب: (النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة)(٢٢)، فحصل لدينا خبر موجز في منتهى الأهمية، مع الدقة والأمانة في نقله، وهذه قيمة إعلامية، تصلح لأن تكون مقياساً في ثقافات الشعوب الإعلامية.

وبعد أن سلّط هذا الهدهد الضوء على حيثيات الخبر إجمالاً، بدأ بالتفصيل ليؤكد صدق مقولته، فهذه مقالة مبناها على الدليل الحسّي والبيانات الموثّقة.

قال تعالى: **﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾**[٢٣-٢٤: النمل].

يُلاحظ هنا التفصيل في الخبر، وحلقات الاتصال في الإعلام على النحو الآتي:

أولاً: إبراز الحالة الاجتماعية، وبيان بأن هذا المجتمع يرفع من شأن المرأة إلى درجة السيادة والقيادة، يبين هذا قوله تعالى: **﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾**[٢٣: النمل].

ثانياً: إبراز الحالة الاقتصادية، يظهر هذا قوله تعالى: **﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾**[٢٣: النمل].

ثالثاً: إبراز القوة السياسية، ووصف الجغرافيا والمساحة، فهذا ملك ممتد له مقوّمات الدولة، ومقدراته الماديّة في أعلى مراتبها، بيّن ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾**[٢٣: النمل].

رابعاً: الكشف عن الحياة الدينية، وهي عبادة الشمس من دون الله -تعالى-: **﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**[٢٤: النمل].

والملاحظ أن الحالة الدينية جاءت في الوصف متأخرة؛ لأن في ذلك مزيد إثارة للغرابة والدهشة؛ إذ كان المتوقع ممن أوتي الثروة والقوّة والاستقرار في العيش أن يؤدي حق هذه النعم بالشكر لله -تعالى- المتفضل بها، لا أن يتوجه بالعبادة والشكر إلى غيره -جل شأنه-.

والقرآن يعرض هنا كشفاً تاريخياً دقيقاً ذا قيمة علمية كبيرة في بيان حلقة من حلقات التاريخ، وحقبة من أحقابه الماضية؛ ذلك أن عبادة الشمس كانت منتشرة في اليمن القديم، وهذا ما تكشفه الآثار والرسومات والنقوشات التي تعود إلى تلك الفترات الزمنية الغابرة، (فهناك لوح من المرمر يعود لمملكة سبأ في القرن السابع قبل الميلاد، محفوظ في متحف اللوفر، يتحدث

عن إله القمر لدى العرب القدماء)(٢٣).

ونلاحظ أن القرآن الكريم حين يلفت النظر إلى القيم التاريخيَّة، يرشد العقل إلى دراسة السياقات التاريخية في إطار ديني، وفي ضوء العقيدة، ومن هنا فإن التحليل في الآثار وفق الرؤية الإسلامية يختلف عن تحليله وفق الرؤية الغربية، (ففي علم الآثار نجد -بحكم النشأة الأوروبية لهذا العلم - ثمة اهتماماً بالجوانب الحسية، والعناصر التوثيقية والأبعاد الفنية لدى الباحث الغربي، أكثر من الاهتمام بالخلفيات العقدية، أو الأبعاد القيمية التي ينطوي عليها الأثر، لذلك كثيراً ما يعتمد الباحثون الغربيون في هذا المجال على المنهج الوصفي، فيما لا يسع الباحث الذي يصدر عن رؤية إسلامية إلا أن يهتم بما يختزنه الأثر من معان ودلالات، ولا يكتفي بالوصف.

فالوقوف على آثار الملوك والحضارات أو الإمبراطوريات، وما يتخللها من إيمان أو ضلال، واستقامة أو انحراف، وعدل أو طغيان، وصعود أو هبوط، يفرض الاستعانة بمنهج التحليل الثقافي، الذي يمكن من خلاله الكشف عن طبيعة الممارسات وحقيقة الظواهر، ومنحى السِير، وهذا هو منهج القرآن وهو يتعرَّض لحال الجماعات الغابرة)(٢٤).

وهذا يسهم في تأصيل علم الآثار، ودراسة الظواهر التاريخيَة باتصالها بالنَسق الاجتماعي، والجانب الديني.

وعلى هذا ترى تفصيلاً في الخبر وُصفت فيه الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، فهو تقرير وافٍ وتحرير كامل عن المكان والإنسان والبيئة والأحوال، بحيث جرى فيه مسح جغرافي كاشف للمنطقة، وما تدور عليه أحوال المُلك وشؤونه، قُدِّم ما ينفع فيه ويفيد.

وقد أفاد الهدهد في محاورته هذه جانباً نقدياً مهماً، فقد أثنى على الجانب الإيجابي؛ وهو: الجانب البنائي المدني، وما يقوم به المعاش من قوّة في الزرع، وبناء للسدود، والطرق التجارية، والتكامل الاقتصادي، ورقيّ في النظام السياسي المبني على مبدأ التشاور في الحكم، بيد أنه انتقد الجانب السلبي المنحرف المتمثل في الحياة الدينية الوثنيّة، وهذا ميزان قويم في النقد، واعتدال في القول؛ حيث تُبيِّن الإيجابيات والسلبيات في النظرة للأشياء، والحكم عليها حين عرضها على النظر.

المطلب الثالث: مراجعة وسيلة الإعلام والتدقيق في مضمونها:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٧-٢٨: النمل].

إن القرار السياسي يحتاج إلى إمعان نظر، وتقليب للأمور، وسبر للأحوال؛ ذلك أن التسّرع في أخذ القرار بناءً على معلومات ترد دون إخضاعها للفحص والتدقيق، ربما يوقع فيما لا تحمد عقباه، أو يكون فيه الإفساد وعدم الإصلاح.

قال النسفي: (﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأمل ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرت، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، وهذا أبلغ من (أم كذبت)؛ لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به)(٢٥).

ويمكن القول هنا: (إن اختيار فلسفةٍ للإعلام والإعلان -تنبع من الرؤية الإسلامية، وتجعل من الصدق والموضوعية واحترام القيم المعتبرة اجتماعياً-: من الضوابط التي يجب اعتمادها في المناهج الإعلامية)(٢٦).

(والرؤية الإعلامية تهدف إلى تنمية الوعي، وتحصين العقل، ولا يمكن تأصيل هذه الرؤية ما لم تحكم البحث الإعلامي المبادئ الإسلامية)(٢٧).

وهذه القيم الإعلامية أحوج ما يكون إليها المجتمع المعاصر؛ ذلك أن (استقبال المسلم للمادة الإعلامية، يعتمد في درجة كبيرة على حواسه التي يتلقَّى بها، وعلى توظيفه الجيد لتلك الحواس، فالسمع والبصر نافذتان يتعامل بهما قلب المرء مع العالم الخارجي ومؤثراته، وعليهما مسؤوليَّة عظيمة، ودورهما الرَّقابي لتلك المؤثرات يتعاظم هذه الأيام؛ لكثرة ما يحيط بنا

من مرئيات ومسموعات)(٢٨).

المبحث الرابع
نظام المراسلات والمخاطبات وأدبها

المطلب الأول: احترام المخاطبات وسريتها، وبيان قيم الخطاب السياسي في مجلس الحكم:

الفرع الأول: احترام المخاطبات وسريّتها:

قال تعالى: **﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾**[٢٨: النمل].

لدى التأمل والنظر في هذه الآية الكريمة يجد القارئ فيها قيماً عظيمة تتمثل فيما يأتي:

أولاً : كشف نظام المراسلات والجانب الدبلوماسي بين الدول.

ثانياً: نظام الكتب المختومة التي لا يطلع عليها إلا المعنّيون بها.

ثالثاً: احترام القيم بين الدول، وأن العلاقات بين الدول قائمة على احترام الحقوق والخصوصيات، وهذا يرشد إليه قوله تعالى: **﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾**[٢٨: النمل].

الفرع الثاني: بيان قيم الخطاب السياسي في مجلس الحكم:

قال تعالى: **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾**[٢٩-٣٤: النمل].

في هذه الآيات يُلحظ أن ملكه سبأ عقدت اجتماعاً عاجلاً غير آجل؛ لأنها تقدّر أن القرارات المصيرية تحتاج لإشراك المسؤولين في شؤونها.

وقد نظرت في شأن الكتاب المرسل إليها من قِبل سيدنا سليمان -عليه الصلاة والسلام- فوصفته بأنه كتاب كريم، قال القرطبي: (وصفته بذلك؛ لما تضمَنه من لين القول، والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل)(٢٩).

والكتاب -على وجازته-، فيه تحقيق لمقصد سيدنا سليمان عليه السلام من العلم والعمل، قال الرازي: (وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود؛ وذلك لأن المطلوب من الخلق: إما العلم أو العمل، والعلم مقدم على العمل، فقوله: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وتعالى، وإثبات كونه عالماً قادراً حياً مريداً حكيماً رحيماً، وأما قوله: **﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾**، فهو نهي عن الانقياد لطاعة النفس والهوى والتكبر، وأما قوله: **﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**، فالمراد من المسلم: إما المنقاد، أو المؤمن، فثبت أن هذا الكتاب -على وجازته- يحوي كل ما لا بد منه في الدين والدنيا)(٣٠).

وأنت ترى أن هناك قيماً سياسيةً عالية الأهمية برزت في هذه الآية الكريمة، تتمثل فيما يأتي:

أولاً : اتخاذ مجلس شورى تعرض فيه الأعمال، وتناقش فيه القضايا الملحّة، وهذا منحىً حضاري يدل على تنظيم العقول والبلاد.

ثانياً: إشراك المسؤولين في صنع القرار السياسي، واطِّلاعهم على الشؤون الداخلية والخارجية، وهذا يتمثل في قوله تعالى: **﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**[٣٢: النمل]، وفي هذا قمة الإشعار بالمسؤولية، والنظم الكريم يوقف القارئ على هذه القيمة، فالتعبير بـ **﴿يَا أَيُّهَا المَلَأُ﴾** فيه تنبيه وإشعار لهم بعظم المسؤولية المنوطة بهم.

وفي سر التعبير بـ **﴿أَفْتُونِي﴾** يقول الزمخشري: (الفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن، والمراد بالفتوى ههنا: الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير)(٣١).

ثالثاً: أن يكون الاجتماع منتجاً: فملكة سبأ تأمل من هذا الاجتماع أن يكون منتجاً بنّاءً، يخرج

بتوصيات وقرارات لمعالجة المسألة الملحّة ألا وهو (كتاب سيدنا سليمان عليه السلام)، وقد تضمّن ذلك قولها: **﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾**[٣٢: النمل]، فهي لا تريد مجرَّد رأي، ولم يكن لديها أيضاً رأي مسبق، بل ينبغي عندها أن تُناقش القضية، ثم تتلاقح الأفكار بناءً على المداولة والتفكير، قال أبو السعود: (وعبرت عن الجواب بالفتوى، التي هي: الجواب في الحوادث المشكلة غالباً؛ تهويلاً للأمر، ورفعاً لمحلِّهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملحّة)(٣٢)، وهذا أسلوب حضاري في التعامل مع القرارات المنتجة والملحّة، ولا بد في هذه الحالة أن يكون القرار مشهوداً لا شبهة فيه، يدل على ذلك قوله تعالى: **﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**[٣٢: النمل].

قال الألوسي: (أي ما أقطع أمراً من الأمور المتعلقة بالملك إلا بمحضركم وبموجب آرائكم، والإتيان بـ (كان) للإيذان بأنها استمرت على ذلك، أو لم يقع منها غيره في الزمن الماضي، فكذا في هذا، و**﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾** غاية للقطع)(٣٣). وفي هذا أعلى الأمثلة لممارسة مبدأ الشورى ضمن أسس الحوار الهادف وأخلاقياته.

ويكشف قوله تعالى: **﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾**[٣٣: النمل]، عن قيم وملامح سياسية واقتصادية وعلمية حريّة بالبيان، وهذه بعضها:

أولاً: الجرأة في عرض الرأي ومناقشة القرار؛ حيث عبَّروا عن رأيهم الشخصي غير متأثرين بأحد، ولا ناقلين عنه.

ثانياً: بيّنوا إمكانات الدولة ومقدّراتها بصدق دون تزييف.

ثالثاً: تكشف الآية كشفاً تاريخياً صادقاً، حيث امتاز اليمنيون المتقدّمون بالقسوة والصلابة في الحرب، قال تعالى: **﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾**[٣٣: النمل]، (فالجيش السبئي كان من أقوى جيوش ذلك الزمان، وقد ضمن لحكّامه امتداداً توسعيّاً جيداً، فقد اجتاحت سبأ منطقة القتبيّين، وتمكنت من السيطرة على عدة مناطق في القارة الإفريقية، وفي عام ٢٤ قبل الميلاد، وأثناء إحدى الحملات على المغرب، هزم الجيش السبئي جيش (ماركوس إيليوس غالوس) الروماني الذي كان يحكم مصر كجزء من الإمبراطورية الرومانية، التي كانت أعظم قوة في ذلك الزمن دون منازع، ويمكن تصوير سبأ على أنها كانت بلاداً معتدلة سياسياً، إلا أنها ما كانت لتتأخر في استخدام القوة عند الضرورة، لقد كانت سبأ بجيشها وحضارتها المتقدمة من القوى العظيمة في ذلك الزمان)(٣٤).

رابعاً: الأدب بأن يرفع الأمر إلى مقامها، **﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾**[٣٣: النمل]، وهذه هي الطاعة المبنية على التفويض بعد عرض القرار، وهذا رقيّ في الخطاب مع حسن انصياع.

والملاحظ هنا: أن ملكة سبأ وإن استشارت الملأ من قومها، فقدمت بذلك نموذجاً إيجابياً للحاكم الذي يأخذ بقول أهل الرأي من قومه، إلا أن أهل الرأي من قومها جاء ردهم ورأيهم دون تمحيص، أو تحقيق، أو دراية بأحوال الملوك، أو حتى رعاية للموقف من شتى جوانبه، فالملكة سألتهم لتعرف رأيهم في كتاب سيدنا سليمان عليه السلام، وكان المنتظر من أهل الرأي أن يمحصوا الأمر من أكثر من جانب؛ ليبدوا رأياً يجمع الحكمة إلى القوَّة، ويبحث عن حل يحفظ البلاد، ويحقن الدماء، لكنهم أجابوها بما تعلمه هي من ملكها للقوَّة، ثم ردوا الأمر إليها؛ لتنظر فيه برأيها إنزالاً للشورى منزلة العدم، وهذا أنموذج لا يستقيم مع الصواب في الشورى من قبلهم، ولعلَّ النموذج الإسلامي المقدَّم يوم أحد خير من هذا النموذج، ويعكس بحق دراية أهل الشورى من الصحابة رضي الله عنهم.

وعلى هذا فإن ما ذهب إليه القرطبي فيه نظر، حيث قال: (راجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إيَّاها بالقوَّة والبأس، ثمَ سلَّموا الأمر إلى نظرها، وهــذه محاورة حسنة من الجميع)(٣٥)، والذي تقر عينها به هو حلٌّ يحقن الدماء، وإلا فهي على علم بمقدرتهم و قوتهم.

المطلب الثالث: حسن القيادة الإدارية والسياسية، وحصافة التقدير في الرأي:

قــال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣٤-٣٥: النمل].

تبيّن الآية الكريمة الصفات القيادية الناجحة، وحسن التعامل مع الأزمات السياسية والقرارات المصيريّة الملحّة، من خلال تصرّف ملكة سبأ في الموقف، وقد كشفت هذه الآية عن القيم الحضارية الآتية:

أولاً : تقديم الخيار الدبلوماسي على منطق الحرب إن أمكن تجنب الحرب وما تؤول إليه، وهذا يمثله قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[٣٥: النمل].

ثانياً: تفعيل الخبرات السابقة والتجارب الماضية في خدمة الرعية، وهذا تقدير لاستخدام الحكمة ووضعها موضعها، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٣٤: النمل].

قال أبو حيان: (وقولها فيه تزييف لآرائهــم في الحرب، وخوف عليهم، وحياطة لهم، واستعظام لملك سليمان، والظاهر أن ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من قولها؛ أي عادة الملوك المستمرة تلك من الإفساد والتذليل)(٣٦).

وهــذه قيمة نفسيَّة يطلق عليها اليوم مصطلح (سيكولوجيــة الشعوب)، حيث (إن لكل أمــة مدركاتها، ولها شعورها الجمعي المتصل بالشأن السياسي، ولعل دراسة الشعوب الإسلامية والشعوب الأخرى وفقاً لهذا المدخل، من شأنه أن يوفر مادةً غنيةً، قد تساعد على اقتراح النظريــات، وصياغة المفاهيم التي تقدم صورةً دقيقةً عن الذات والآخر، وما ورد في القرآن والسنة يمكن اعتباره مرشداً في إطار هذه الدراسات)(٣٧).

ثالثاً: منطق الحكمة أمام القوة، والعقل أمام الاندفاع: يلحظ هنا أن ملكة سبأ لم تأخذ برأي الأغلبية التي رأت الإقدام على الحرب؛ لأن الحاكم الحصيف له نظرة في مقايسة الأمور والحكم عليها، فلا شك أن نظرتها أعمق من نظرتهم، ورأيها أصوب من رأيهم المتسرع، وكان من المنتظر أن يكون مثل هذا الرأي من أحد أعضاء الشورى بدلاً من افتخارهم بقوَّتهم، وهي معلومة لدى المشاور أصلاً.

وتظهر الحكمة أيضاً في القدرة على الإقنــاع العملي، فملكة سبأ تريد إقناع الملأ المستشارين عملياً بضرورة التريث في صنع القرار، وأن قراراً كهذا ينبغي دراسة أبعاده، والبحث عن بدائل يفاد منها في الإبقاء على العمران والنهضة في الحياة؛ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٣٤: النمل].

والحل السلمي يكون بديلاً عن خيار الحــروب حقناً للدماء، وهذا ما تكون عليه الحضارة الراقية.

والقرآن هنا يلفت النظر إلى قضية مهمَّة جداً؛ هي المعرفة النفسيَّة، وهذه تبحث اليوم فيما يسمَّى (علم النفس السلوكي)، الذي بدأ يدرس في الجامعات الغربية، (والمعرفة النفسيّة تؤثر في إدارة الأزمات، وهي تمثل ضرورة بالنسبة إلى صاحب القرار؛ نظراً لما توفــره من بيانات تتصل بالمفاوض، وكل ذلك يساعد على تحديد المواقف، ومن ثمَّ اتخاذ القرار)(٣٨).

المبحث الخامس

قيمة الثبات على المبدأ والاتزان في الموقف

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣٦-٣٧: النمل].

في هذه المقطع القرآني ملامح حضارية وفكرية، تشكل بعداً عميقاً في العمل الإنساني، وهذه الملامح الحضارية التي تستشف من هذا المقطع، تتجلى في مجموعة من القيم العظيمة، يمكن إيرادها فيما يأتي:

المطلب الأول: أسلوب المقايسات والتفاضل في الأشياء:

إن سيدنا سليمان عليه السلام أنموذج للملك الصالح الحصيف، الذي يملك معياراً في تفاضل الأشياء وتمايزها، وهذا يُظهره قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٣٦: النمل].

فالثبات أمام إغراءات السلطة محمدة للحاكم، وهذا يكشف بدوره عن حقيقة المواقف الرصينة أمام التغاير بين السياسات؛ لأن منطق سيدنا سليمان عليه السلام: تحقيق الإيمان، وعلوّ الدعوة إلى الحق، وهذا فوق ما يُقدّم له من قبل ملكة سبأ من علائق دنيوية، قال السعدي: (﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾[٣٦: النمل]، أي: فليست تقع عندي موقعاً، ولا أفرح بها، قد أغناني الله –تعالى- عنها، وأكثر عليَّ النعم، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٣٦: النمل]، لحبكم الدنيا، وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله -تعالى-)(٣٩).

ولا يخفى أن موقف سيدنا سليمان عليه السلام يمثل القوة من أجل الحق؛ ذلك أن ثمة منطقين في الفهم السياسي والعسكري والحربي:

الأول: الحرب لأجل السيطرة والعلو، وهي تهدف إلى التدمير والقتل والتشريد، والخراب ضد العمران والبناء، وشعارها: (Might is right) أي القوة هي الحق.

الثاني: الحرب لأجل الحق، وهذا هو منطق سيدنا سليمان عليه السلام هنا، وقد أفصح عن ذلك كما تشير الآية: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣١: النمل].

وهنا يلحظ علوَ القيم القرآنية على غيرها من قيم البشر، التي تنطلق من نظريَّة (البقاء للأصلح)، (وقد استخدم بعضهم بصورة مغلوطة نظريَّة البقاء للأصلح، الخاصة بعلم الأحياء كما طرحها (داروين)؛ من أجل سحبها على المجتمعات البشريَة، إنَ معايير الأصلح -حتى لو صحَت بالنسبة إلى الحيوان، أو النبات، أو الأحياء المختلفة- فإنها لا تصلح لأن تكون المعايير التي تحسم في الصراع بين الجماعات الإنسانية)(٤٠).

المطلب الثاني: الإعداد الصحيح للقوة:

قال تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣٧: النمل].

هنا يظهر استخدام القوة في الحق، والإعداد الصحيح، وإظهار القوة للغير؛ لأجل المهابة وحفظ الهيبة، وهذا في ميزان القوى مهم جداً، بشرط اتكائه على الدين والحق، والتزامه العدل.

ويظهر هنا كذلك الاستعلاء بإظهار قيمة الحق، وميزته وعلوّه على الباطل، وقد عمل سيدنا سليمان عليه السلام على إضعاف معنويّة مقابله، حيث تظهر صيغة النظم القرآني قوة جيشه عليه السلام، وعظم قوته.

وهذه قيم تدل على أن كل ذلك محض تفضل من الحق سبحانه وتعالى.

المبحث السادس

القوة العلمية وبناء العمران، والملامح الحضارية فيهما

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ

عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[٣٨-٤٤: النمل].

في هذه الآيات الكريمة قيم علمية وفكرية، وملامح من التحضر في استخدام البناء والعمران، وسبل حضاريّة قويمة في التعامل مع العلم والأدوات ووسائل الحياة، بل يمكن القول: إن هذا المقطع القرآني يعلّمنا التحضر بمقاييسه الرفيعة.

وهذه بعض ملامح التحضر التي تكشف عنها هذه الآيات الكريمة:

المطلب الأول: تحرير الطاقات، وتحفيز الإبداع، وكشف منازعه، واختبار الكفاءات، واختيار الأنسب والأكثر كفاءة وأمانة ودقة:

الفرع الأول: تحرير الطاقات، وتحفيز الإبداع، وكشف منازعه:

قال تعالى: **﴿قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**[٣٨: النمل].

هنا يوجه نبي الله سليمان عليه السلام ملأه من الإنس والجن إلى استخدام طاقاتهم وقدراتهم؛ للإتيان بعرش ملكة سبأ، ونبي الله سليمان عليه السلام - يدرك أن لديه من يملك القدرة والإبداع، وهو الآن يعمل على توظيف هذا الإبداع، وتنشيط القوى وتلك القُدر.

ويوجه القرآن الكريم هنا إلى الكشف عن الطاقات الفكريَّة، وتفعيل المنهج العلمي التجريبي، وقد أخذ المسلمون بهذه القيمة العظيمة، فتفوّقوا فيها على غيرهم، (وانتقل المنهج الإسلامي التجريبي إلى العقلية الأوروبيَّة، واتَّجه الفكر الغربي إلى البحوث العلميَّة التَّجريبيَّة، وكشف البحث العلمي حقائق فلكيَّةً وجغرافيَّةً وطبيعيَّة، غير تلك المجموعة من الأوهام والأساطير والخرافات، التي تتبناها الكنيسة، وتعدها حقائق مقدَّسةً)(٤١).

الفرع الثاني: اختبار الكفاءات، واختيار الأنسب والأكثر كفاءة وأمانة ودقة:

قال تعالى: **﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾**[٣٩-٤٠: النمل].

هنا تعرض كفاءتان على نبي الله سليمان عليه السلام، إحداهما كفاءة عفريت جنّي يعرض عليه إحضار العرش في وقت قصير، وهو مدة مكوثه على عرشه لذلك اليوم.

والأخرى: كفاءة الذي أوتي علماً من الكتاب، قيل في تفسيره: (هو رجل من الإنس، وقيل: هو من الجن، وقيل هو سيدنا سليمان عليه السلام)(٤٢)، مع أن الاحتمال الأخير لا يحتمله نص الآية ولا سياقها، على أن أسلوب المقابلة يظهر أنه رجل من الإنس.

وأيّاً ما يكن هذا الذي عنده علم من الكتاب، فإنه يمثل لنا كفاءةً متميّزة، ويقدم عرضاً بارعاً في صنعته، وهو بلوغ الغاية في السرعة مع التمكن في الصنعة والبراعة فيها، حيث أمكنه أن يحضر العرش قبل أن يرتد طرف سيدنا سليمان عليه السلام إليه.

وهذا يمكن أن يطلق عليه تحقيق الكفايات المعرفية والذهنية، والكفايات هي: (قدرات مكتسبة، تسمح بالسلوك والعمل في سياق معيّن، ويتكون محتواها من معارف ومهارات وقدرات، واتجاهات مندمجة بشكل مركب، كما يقوم الفرد الذي اكتسبها بتوظيفها في مواجهة مشكلة ما)(٤٣)، والملاحظ أن سيدنا سليمان عليه السلام يميز في الصنعة، ويختار الأنسب، ويقدم الأكثر إتقاناً وبراعةً وأمانةً، فالجودة في العمل تقتضي اختيار الأفضل، وهذا بحث عن التميّز، وتحفيز للجدّ والدقّة في العمل.

وينبه القرآن الكريم هنا إلى قضيَّة علمَّة عظيمة؛ هي أن العلم يتطوّر ويزداد، والناس على تفاوت فيه، واليوم نلحظ أن ثورة الاتصالات ووسائل نقل المعلومات تخطَّت الحواجز الجغرافيَّة، فأصبحت المعلومة تصل للإنسان بأسهل الطرق، وفي أي مكان يكون فيه.

المطلب الثاني: ربط النتائج العلمية بأسبابها:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٤٠: النمل].

في هذه الآية ينسب سيدنا سليمان عليه السلام النتيجة والتقدم العلمي لله –تعالى- الذي تفضل عليه بذلك، وقد شكر الله –تعالى- على هذا الفضل العظيم؛ إذ بالشكر تدوم النعم.

وقد بين القرآن الكريم لذي القرنين موقفاً، يظهر أن اتخاذ الأسباب للوصول إلى الغايات لون من ألوان تمكين الله –تعالى- لعباده الصالحين، (فبعد أن أتمَّ هذا السدَّ الشامخ، وتحقق غرضه، ورأى ثمرة جهده لسنوات عديدة، وهو يكابد لإكمال السد بتأمين المواد الأوَّليَّة، وإقامته التخطيط الدقيق، والأسس العلمَّة السليمة من جهة، ويكافح لدفع غارات المفسدين في الأرض، الذين يحاولون الحيلولة بينه وبين إتمام السد، فلما انتهى وأشرف على هذا الإنجاز الضخم، توجَّه إلى ربه شاكراً متضرعاً للذي بفضله وكرمه ونعمته تتمُّ الصالحات، فقال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٩٨: الكهف]، واستشعر -وهو المؤمن بيوم النُشور والحشر- أنَ كل شيء في الدنيا زائل، وتذكر يوم العودة إلى الله ﷻ ويوم تحمل الأرض والجبال، فتدك وتسوى بالأرض ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١٤: الحاقة]، قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٩٨: الكهف])(٤٤).

وشتان بين هذا الموقف وبين موقف من ينسب العلم إلى نفسه، حيث جاء في القرآن على لسانه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[٧٨: القصص]، وفي هذا بيان بأن أساس العلوم قائم على الإيمان.

المطلب الثالث: السبق في العلوم من خواص أهل الإيمان:

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾[٤٠-٤١: النمل].

هذه لفتة من نبي الله سليمان عليه السلام ليظهر الفرق بين العلم المادي –المبني على أسس قويمة، وأعلاها الاتصال بالله تعالى– وبين العلم المجرّد، الذي يقوم على أسس هشة ضعيفة، حيث لا يقوى على الدوام والاستمرارية، كما أن الأمة الإيمانية أُمة سباقة إلى العلم ونيل المعارف، إذ هي أسرع من غيرها في حط الجهالة عن نفسها.

وما أعلى القيمة التي تبرزها الآية: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٤٢: النمل]، حيث تظهر فضل السبق في المعرفة والاستظهار بالعلوم القويمة، والعلم هنا عام ليس مخصوصاً كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، حيث رأوا أن المعنى (وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة)(٤٥)، ويرى بعضهم أن المعنى: (العلم بالله والإسلام قبلها)(٤٦).

وحمل العلم على عمومه أولى؛ لتعلقه بالمقام، ولمناسبته لما قبله أتمَّ مناسبة، وإن كان يدخل هذا الخصوص الذي قيل في عموم العلم دخولاً أولياً.

وقد سجّل بعض الباحثين الغربيين سبق الإسلام في تطبيق السنن القرآنية على القضايا المعاصرة لهم، يقول (واط): (في منتصف القرن السابع -بعد ظهور الخلافة الإسلاميَّة، وانتشارها ضمن حدود متواضعة- كان المسلمون من العرب يبحثون في تطبيق السنن القرآنية على القضايا المعاصرة لهم، محتذين في ذلك مثال الرسول ﷺ)(٤٧).

ويقول أيضاً: (إن معظم البلدان الإسلاميَّة شهدت ازدهاراً نسبياً للزراعة، في كل مكان كانت الزراعة فيه ممكنة، لذلك فقد أمكن للعرب رفع مستوى الزراعة في بلد مثل اسبانيا، وقد قام العرب بتوسيع نظام الري

وتطويره، على أساس الخبرة التي اكتسبوها في المشرق فيما يخص توزيع المياه وتوفيرها)(٤٨).

وإذا نظرنا إلى ما كانت عليه أوروبا في القرون الوسطى من تخلُّفٍ في نظمها الزراعيَّة(٤٩)، وتخلفها العلمي والفكري، نعرف عندها فضل الإسلام على الدنيا كلها.

وهذه الآية تبيّن أن البناء العمراني ينبغي أن لا يكون على حساب البناء الإنساني؛ فبناء الإنسان منظور إليه أولاً وقبل كل شيء، وأنه يسير جنباً إلى جنب مع نشوء الحضارات، وبناء الإنسان هنا هو: بناء ديني وعلمي.

وهذا ما يؤكده الباحثون في شؤون التنمية والحضارة، (فلكي يتقلَّد الفرد الأساليب والسلوكيَات والممارسات الجديدة، التي يفرضها التغيير الناجم عن التقدُّم، لا بد من تحضيره نفسيَّاً وعلميَّاً وثقافيَّاً التحضير الكافي، وإعطائه المعلومات اللازمة، وتدريبه على المهارات والسلوكيَّات المرتبطة بالتطوير والتقدُّم)(٥٠).

وإذا سلطنا الضوء على واقع المجتمع المعاصر، وما تمرُّ به مرحلة الإنسان الحضاريَّة من تحولُّ وتغيُّر، ومن ثمَ مقدرته الثقافيّة والحضاريّة على مواكبة ذلك التغيير، ومواجهة المشكلات والقضايا النّاجمة عن ذلك التغيير، فإن التقدم الحضاري الذي يلزمه هو: (تقدّم الفرد نفسه فكريّاً وحضاريّاً، ومقدرته النّفسيّة والعلميّة والروحيّة، على مواجهة الحضارة الحديثة والتأثير فيها، والسيطرة على كل ما هو جديد، والإسهام في صناعة ذلك الجديد دون أن يعتريه أدنى شعور بالاغتراب والتردّد)(٥١).

(والباحثون في شؤون التنمية ومسائل التّخلُّف، يشيرون إلى الثورة الصناعيَة التي حدثت في أوروبا في القرنين الماضيين، ولكنَّهم يعالجون الثورة الصناعيَة كظاهرة منعزلة عن غيرها من الظواهر الاجتماعيّة، وعن الإرث الحضاري الإنساني)(٥٢).

وعلى هذا فإنَ هذه حضارةٌ مبتورةٌ، لا يمكن أن تتكامل إلا بالرقيّ الإنساني والاجتماعي، الذي ينبثق من الدين الصحيح.

المطلب الرابع: بيان أن الكفر إفساد للعمران، وأن البناء والعمران من أجل الإصلاح والصلاح:

الفرع الأول: بيان أن الكفر إفساد للعمران:

قال تعالى: **﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾**[٤٣: النمل].

هذه الآية دليل على أن الكفر يهدم النعم ويقوّض البنيان، وهذا ما جاء في الآية قبلها على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: **﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾**[٤٠: النمل].

الفرع الثاني: البناء والعمران من أجل الإصلاح والصلاح:

قال تعالى: **﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٤٤: النمل]. في هذه الآية تظهر ملامح البنيان والعمارة العالية، والمستوى الحضاري في استخدام العناصر الطبيعيّة، واستثمار الفلزّ في الأرض على نحو يحقق للإنسان الحياة ونظام المعاش، والبحث في محتويات الأرض والبيئة، والكشف عن ثرواتها بما يحقق النفع للإنسان والمجتمع، فالعلم هنا يُستثمر في البناء والمدنيَّة؛ لأنه قيمة وأساس، لتكون المدنيَّة ذات قيمة.

فالبناء لم يرده نبي الله سليمان عليه السلام للترف وبذخ العيش، بل أراده لإظهار نعمة الله -تعالى- وفضله، وليُري ملكة سبأ جانباً من إنعام الله –تعالى- عليه بالعلم، والقيام على شؤون العالم في زمانه؛ لتعلم قيمة العلم في تحقيق نهضة المجتمع، وما ذلك إلا بمددٍ من الله –تعالى- وقدرته وفضله.

وهذا يفيدنا في تقييم الحضارات في عصرنا الحاضر، فالحضارة: (ليست تفوّقاً في التكنولوجيا فحسب، وإنما - قبل كل شيء -: إيمان بالإنسانيّات، واحترام

لمقدّسات الإنسان)(٥٣).

والعلم التجريبي وحده لا يستقلّ بالنهوض الحضاري، بل لا بد أن تضاف إليه القيم الأخلاقيّة والثقافة، يقول مالك بن نبي: (الثقافة تعطي السلوك والغنى الذاتي، الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع، والثقافة تعطي امتلاك القيم الإنسانيّة التي تخلق الحضارة)(٥٤).

فالعلم والعمران والبناء، يُفاد منه في تحقيق السبيل القويم في الدعوة إلى الله –تعالى-، وهكذا شأن الأمة المؤمنة، قوية بعلمها ودينها، تقوم على أساس ثابت، لا تؤتى إلا من قِبَل تخليها عن دينها وعلمها، وعلى هذا فإن المدنيّة مبناها على الحق.

وقد استخدم نبي الله سليمان عليه السلام الأدوات في خير البشرية، واستثمرها في النفع الإنساني، وإلى ذلك تشير الآية التي بين أيدينا، والآيات الأخرى التي في سورة فاطر؛ حيث توضح ما تنطوي عليه الآية هنا من هدف المدنية والحضارة الإيمانية، قال الله –تعالى-: **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**[١٣: سبأ].

قال البيضاوي: (**﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ﴾** قصور حصينة، ومساكن شريفة سميت بها، لأنها يذب عنها ويحارب عليها **﴿وَتَمَاثِيلَ﴾** وصوراً هي تماثيل للملائكة والأنبياء، على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم، وحرمة التصاوير شرع مجدد، **﴿وَجِفَانٍ﴾** وصحاف **﴿كَالْجَوَابِ﴾** كالحياض الكبار، جمع جابية: من الجباية، وهي من الصفات الغالبة كالدابة **﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾** ثابتات على الأثافي، لا تنزل عنها لعظمها **﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾** حكاية عما قيل له، وشكراً نصب على العلة، أي اعملوا له واعبدوه شكراً، أو المصدر؛ لأن العمل له شكر، أو الوصف له، أو الحال، أو المفعول به)(٥٥).

ويظهر هنا أن القرآن الكريم يشير إلى أن الصنائع: منها ما هو علمي، ومنها ما هو عملي، وبذلك تتكامل الحياة الإنسانيّة.

وهذه الحضارة التي تعرضها الآيات الكريمة ترتكز على الإيمان، وهي مقرونة بالشكر للمتفضل الوهاب -سبحانه-، الذي يفتح على خلقه بما يعينهم على القيام بشؤونهم الدنيويّة، والنهوض بأمورهم في الحياة.

وقد أثمرت دعوة سيدنا سليمان عليه السلام إلى الله - تعالى- بالعلم والمعرفة، وتحقيق العمران البنَّاء، **﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٤٤: النمل].

لقد اكتشفت ملكة سبأ التباين الحضاري بين ملكها وملك سيدنا سليمان عليه السلام، وأن حضارة سيدنا سليمان عليه السلام قائمة على التعلق بالإيمان والإسلام، وأن ما كانت عليه هو وهن حضاري لا يملك مقوّمات البقاء، فشتان بين حضارة مادية قلقلة، وحضارة إيمانية تجعل من المادة طريقاً إلى الحق.

الخاتمة:

الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد اجتهدت في هذا البحث ما أمكن لي الجد والاجتهاد، وحاولت ما استطعت أن أعرض فيه إلى القضايا المهمّة التي تخللتها قصة سيدنا سليمان عليه السلام في سورة النمل في إطار من البحث والتأمل وإعمال النظر، وقد ظهر لدى البحث جملة من النتائج والاستنتاجات، أعرض لها فيما يأتي:

أ) برزت قيم اجتماعية في القصة القرآنية موضع البحث تمثلت في الآتي:

أولاً: الاحترام وحسن الوفادة، وأسلوب التخاطب، وحسن العرض والجواب.

ثانياً: الاعتذار، ورفع المسؤولية عن غير العامد.

ثالثاً: اختيار الأفضل والأحسن أداءً، والأكثر أمانة ودقّة.

رابعاً: نظام التعاون، والانتماء للأرض، والإخاء، والحفاظ على المصلحة العامة.

ب) ظهرت قيم دينية تمثلت في الآتي:

أولاً : قيمة التوحيد الذي ننطلق منه في كل تعاملاتنا، وبيان أن الكفر يهدم دعائم الممالك، وأن الشكر يديم الممالك، ويديم العلم.

ثانياً: العلم مرتبط بالإيمان، وموصلٌ إليه.

ج) القيم والملامح السياسية، وقد جاءت في الآتي:

أولاً : نظام التشاور في أخذ القرارات، وإشراك المسؤولين في تحمل المسؤولية، وأهميته البالغة.

ثانياً : التسلسل في أخذ القرارات في مجلس الحكم.

ثالثاً : تقويم الرأي المندفع –نتيجة القوة والشجاعة الزائدة- بمراعاة الحكمة والمنطق في فهم الأمور، والنظر إلى حماية العمران وبناء البلدان.

رابعاً: الإفادة من التجارب السابقة، والتبصرة بشؤون الحروب، وتوظيف الخبرة السياسية في نظم الحضارات.

خامساً: توزيع المهام والوظائف على الرعية.

سادساً: الدبلوماسية ذات أثر مهم في التعاملات الدولية، والثبات على المبدأ من القيم السياسية التي عرضت لها القصة القرآنية موضع البحث.

سابعاً : نظام المراسلة، وأنظمة البريد من السبل والدعائم للاتصال بين الشعوب.

د) الجانب الإعلامي: وقد كشفت عنه القصة القرآنية موضع البحث، وقد تمثل في الآتي:

أولاً: النبأ لا بد أن يكون ذا هدف، ويحتاج إلى أسلوب في بثه ونقله، حيث تراعى فيه المصداقية والإفادة.

ثانياً: التأكد من صحة الخبر، وإخضاعه للعقل والتحليل، وإدارته في الذهن؛ نظراً لحجم الخبر وخطورته، وعدم أخذ القرار إلا بعد التريث والتأكد من حيثيات الخبر، وما ينطوي عليه.

هـ) القيم المادية: وقد ظهرت في الآتي:

أولاً: الإعداد الصحيح، وحسن التدريب من عناصر القوة لدى الأمم، والاستعداد لمواجهة المخاطر في كل حين.

ثانياً: القوة الاقتصادية والتكامل الاقتصادي، من العناصر المهمّة في مقدّرات البلاد ومقوّماتها.

ثالثاً: لا بد من استثمار العلم في البناء، واختيار الأفضل للعمل والبناء.

رابعاً: البناء ليس للبذخ بدليل ربطه بالشكر؛ لأن المدنيَّة الصحيحة هي التي تقوم على شكر الله –تعالى-.

و) القيم والملامح العلمية: وقد برزت فيما يأتي:

أولاً: العلم قيمة وأساس، وهو أساس التفوّق والنهوض.

ثانياً: تعريف الناس بقيمة العلم وإظهاره، وأن فضل العلم ورفعة العلماء، مرده إلى الله -تعالى- المتفضل بذلك.

وبعد، فإني لأرجو الله -تعالى- أن أكون قد وُفقت فيما قدّمت من عمل، فإن كان ذلك فالفضل لله -تعالى-، وأحمده على ذلك، وإن جانبني الصواب فأسأل الله –تعالى- العفو عن الزلة، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ج٣، ص٦٠٥-٦٠٦.

(٢) أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: د. محمود التونجي، عالم الكتب، (ط١)، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٠.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١٨، ص٢٥٢.

(٤) فضل حسن عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، عمان، ١٩٩١، ص١٨١.

(٥) النكرة في سياق الامتنان تدل على العموم، انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: د. محمود احمد القيسيّة

ومحمد أشرف الأتاسي، مؤسسة النداء، (ط١)، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٢٢.

(٦) أن النبي ﷺ قال: (أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم نصف الدهر، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان يرقد شطر الليل، ثم يقوم، ثم يرقد آخره، ويقوم ثلث الليل بعد شطره)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، حديث رقم (١٩٠).

(٧) تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، **فتاوي السبكي**، بيروت، دار المعرفة، ج١، ص٧٣.

(٨) أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٦٥٤هـ)، **البحر المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٧، ص٥٩.

(٩) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفيحاء، (ط١)، دمشق، ١٩٩٤م، ج٦، ص١٨٢.

(١٠) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٨، ص٢٣٥.

(١١) علي القريشي، **توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية: رؤية ومشروع**، كتاب الأمة، قطر، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٢٥، ١٤٢٩هـ، ص٥٢-٥٣.

(١٢) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٨، ص٢٣٩.

(١٣) أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، (ط٤)، بيروت، ١٩٩٤م، ج٦، ص٢٧٧.

(١٤) الحطم: حقيقته الكسر لشيءٍ صلب، واستعير هنا للرَّفس بجامع الإهلاك، انظر: ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٨، ص٢٤٢، وفي التعبير القرآني **﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾** دلالةُ دقيقةُ على المعنى المراد؛ ذلك أن لفظ الحطم في اللغة: هو الهشم مع اختصاصه بما هو يابس أو صلب، وقد ثبت للعلماء أن النمل يحتوي جسمه على نسبة كبيرة من الزجاج، وأنه مغلّف بغلاف صلب جداً قابل للتحطم كالزجاج الصلب، وعلى هذا ورد اللفظ المناسب ليعبر عن المراد، وقد أسلم على إثر هذا عالم أسترالي قام باكتشاف هذه الحقيقة العلمية، وصدق الله -تعالى- إذ يقول: **﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**[١١: لقمان]، انظر الموقع الإلكتروني: http: forum ozkor allah. com وhttp: www. almeshkat. Net.

(١٥) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج١٩، ص٤٣٩. وينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ج١٣، ص١٧٠.

(١٦) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، المكتبة العصرية، (ط١)، بيروت، ٢٠٠١م، ج٢، ص٩٧٠.

(١٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص١٧٨.

(١٨) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، (ط١)، بيروت، ١٩٩٩م، ص٥٥٣.

(١٩) المرجع نفسه، ص٥٥٣.

(٢٠) محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص٣٦٤. وينظر: فخر الدين عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، **مفاتيح الغيب**، (ط١)، دار الفكر للطباعة، ١٩٨١م، ج١٢، ص١٩٠.

(٢١) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٨، ص٢٤٩.

(٢٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ)، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٥٣٤. وينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ج٤، ص١٥٥.

(23) http: //ar. wikipedia. org/wiki/.

(٢٤) القرشي، **توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية**، ص١١٠.

(٢٥) عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب

العلمية، (ط١)، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٣٤.

(٢٦) القرشي، **توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية**، ص٧٤.

(٢٧) المرجع نفسه، ص١٠٨.

(٢٨) أحمد عبده عوض، **الإسلام والبعث الحضاري**، مركز الكتاب للنشر، (ط١)، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢٩) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص١٧٨.

(٣٠) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص١٩٤-١٩٥.

(٣١) الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٢٦٩.

(٣٢) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٢٨٤.

(٣٣) شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٩، ص١٩٧.

(34) http: //ar. wikipedia. org/wiki/.

(٣٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٣، ص١٩٤.

(٣٦) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٧، ص٧٣.

(٣٧) القرشي، **توطين العلوم العربية والإسلامية**، ص١٤٠-١٤١.

(٣٨) المرجع نفسه، ص١٤٤-١٤٥.

(٣٩) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٥٥٤.

(٤٠) عوض، **الإسلام والبعث الحضاري**، ص٧٤.

(٤١) المرجع نفسه، ص١٦٢. وينظر: أنور الرفاعي، **الإسلام في حضارته ونظمه**، دار الفكر، (ط٢)، دمشق، ١٩٨٢م، ص٦٠.

(٤٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء التراث العربي، (ط٥)، الكويت، ٢٠٠١م، ج٣، ص٢٠٩٠.

(٤٣) محمد الإدريج، **الكفايات في التعليم من أجل تأسيس علم المنهاج**، الدار المغربية للنشر، (ط١)، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢٣-٢٥.

(٤٤) مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (ط٢)، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٤٥) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٧، ص٧٨.

(٤٦) سليمان بن عمر العجيلي (ت ١٢٠٤هـ)، **الفتوحات الإلهية**، دار الفكر، بيروت، ج٣، ص٣١٦.

(٤٧) مونتجمري واط، **أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا**، ترجمة: جابر أبي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م، ص٤٩.

(٤٨) المرجع نفسه، ص٦٦-٦٧.

(49) denys hay, Europe in the fourteenth and fifteenth centuries, london, Longman, p.15.

(٥٠) أحمد قائد بركات، **التخلف لماذا؟ والتقدم لم لا؟**، دار الفكر، (ط١)، دمشق، ١٩٨٦م، ص١٢٧.

(٥١) المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٥٢) إسماعيل صبري عبد الله، **في التنمية العربية**، دار المستقبل العربي، (ط٢)، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٤٤-٤٦ بتصرف.

(٥٣) محمد عماره، **نظرة جديدة إلى التراث**، دار قتيبة، (ط٢)، ١٩٨٦م، ص٢١٣.

(٥٤) مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة: من أجل التغيير**، دار الفكر المعاصر، (ط١)، بيروت، ١٩٩٥م، ص٥٤.

(٥٥) عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٧٩١هـ)، **أنوار التنزيل وبهامشة حاشية الكازروني**، مؤسسة شعبان، بيروت، ج٣، ص١٧١. وينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٣٦٤.